## أهم العادات والتقاليد السائدة في المنطقة حتى عصر النفط.

الزواج:

-١ الخطبة: كان الزواج، في الغالب، محصوراً داخل الأسرة، حيث كان ابن العم هو العريس المفضل للابنة، وكان الزواج من خارج الأسرة أمراً قليل الحدوث، فمتى ما بلغ الابن سن الرشد، شعر والده، بمسؤوليته في إيجاد عروس له. وبما أن الزواج كان محصوراً داخل الأسرة، فإن العروس المختارة تكون معروفة لأهل العريس، خاصة والدته، ويقوم والد العريس بمفاتحة والد العروس برغبته في خطبة ابنته. وتتم الخطبة وعقد النكاح دون إعلان، حيث يحضر المملك إلى منزل والد العروس، والعادة ألا يؤخذ رأي الفتاة في خاطبها، وأن تختفي عن أعين الرجال وكافة النساء عدا أمها والفتيات الصغيرات والنساء القائمات بتجهيزها، حتى ليلة الزفاف.

(٢)- المهر: كان المهر، في العقود الأولى من القرن الرابع عشر الهجري، في الأحساء لا يتعدى مئات الريالات، أو ما يعادلها من العملات المتداولة آن ذاك وأن يقدم العريس إلى عروسه، قبل دخوله بها، ثوبين وعباءة (دفة) ولوازم الولائم وفرش النوم الخاصة بليلة الزفاف وبعض الأقمشة غير المخيطة. وفي بعض الحالات يشمل المهر (الجهاز) مجموعة من الحلي. وكانت تلك الأشياء تحمل إلى بيت العروس في الليلة السابقة للزفاف، وتسمى «ليلة الحفلة». وكانت الأقمشة وبعض الحلي تحمل في صرة (بقشة). ويتضمن -هاز العروس المحمول إلى بيت أهل العروس صندوقاً خاصاً بملابس العريس الخاصة والهدية (الصباحة) التي سيقدمها إلى عروسه صبيحة

يوم زفافه. وكذلك بعض اللب (الحب) والمكسرات، على أن ينقل الصندوق إلى بيت العرس حين انتهاء مراسم الزفاف. وجرت العادة بأن يستأجر العريس من يحمل تلك الأشياء إلى بيت عروسه، فإن لم يجد من يحملها، حملتها والدته وقريباته.

## ومن أشهر أنواع الحلي في مناسبا ت الزاوج:

القبقب والحَلَق والهلال و»الشقايق» وقصة السعد والتحافيظ والريشة والهامة والسروج والتلول و»الجتب و»الظفاير» والخزامة والزمام والفردة والمعرّ والزماط والقرادلة والرشراش والشميلات والبناجر و»التراتشي «(الأقراط) وحب الهيل والخواتم والحجول والأفتاخ والثريا والقطان والخلخال والحزام والمرتعشة والخويصات والسبحة والقلادة والبقنة والمزنط والذبّال والزنود والربيعة.

وكان الأثرياء غالباً ما يشترون الحلّي الثمينة ويتفاخرون باقتنائها، أما غير القادرين فيشترون الحلّي الفضيّة، وكان غنى الزوج ومكانته الاجتماعية غالباً ما يحددان كمية الذهب والفضة في الحلّي، حيث أن الأهل يقومون بشراء حلّي لابنتهم من مهرها. وكانت العادة أن يشتري أهل العروس لابنتهم من مهرها صندوقاً خشبياً من السيسم مزخرفاً بزخارف نحاسية مموهة بألوان ذهبية زاهية، وهو مما يستورد من الهند، ويمتاز بصلابته وبقفله الكبير المحكم. وداخل الصندوق قسم خاص بحفظ المقتنيات الذهبية، مقسم إلى أجزاء صغيرة لحفظ الحلي، كل على حدة ويطلق عليها «بوقة» وبعد الانتقال إلى بيت الزوجية يتحول الصندوق إلى مكان أمين لحفظ المجوهرات وحلّي الزوجة والعطور على مختلف أنواعها[1].

أما الملابس الخاصة التي ترتديها النساء، سواء العرائس أو غيرهن، فهي كثيرة ومتنوعة وسبق ذكرها.

٣ – العانيّة: بعد تحديد موعد الزفاف يبادر أقارب العريس وأصدقاؤه بتقديم

١- المرجع السابق.

مساعدات عينية، سواء كانت نقوداً أم خرافاً أم أكياس أرز أوسكر أو هيل أو بنّاً. أما بالنسبة لهدايا العروس فإنها تأتي من قريباتها وصديقاتها، وتكون إما حلياً أو جنيهات ذهبية أو أقمشة غير مخيطة، وتقديمها يكون بعد زفاف العروس.

٤ – يوم الغسول (حمّام العريس): يقوم والد العريس بدعوة أقارب العريس وأصدقائه لمرافقته صبيحة يوم الزفاف، إلى إحدى عيون المياه المشهورة ليقضوا مع العريس يوماً كاملاً من الاستحمام والنزهة والفرح، تعد لهم فيه وجبة غداء كبيرة، وقد تقام خلالها جلسات طرب وغناء خاصة من النوع المعروف محلياً بـــ «المجيلسي» ويعودون إلى المدينة أو القرية مساء بعد أن يرتدي العريس ملابس جديدة ويشد على وسطه خنجراً ويتقلد سيفاً ويمتطي صهوة جواد مسرج، يحف به صحبه منشدين أغاني مناسبة لدقات الطبول والدفوف التي يحملونها[1]. وكان العريس يسمّى محلياً «المعرس».

٥ – ليلة الطّيب: يتوافد المدعوون من الأقارب والأصدقاء وسكان الحي إلى منزل العريس، بعد صلاة المغرب مباشرة من ليلة الزفاف، التي تسمى ليلة الطّيب، ومن العادة أن يحضر المدعو معه فانوساً أو (إتريكا) يحمله معه في تلك الليلة، لإنارة الطريق وإضفاء البهجة على الحفل، وكان بعض الموسرين يستأجرون من يحمل لهم الفانوس، وكان المدعوون في حالة عدم ملكيتهم لفانوس يستعيرونه من الأقارب والمعارف. كما يحرصون على ارتداء المشلح. ومن لا يملكه يستعيره. وبعد تناول القهوة العربية وتقديم البخور (العود الصنفي) ورش العطور بالمرشّ يصاحب المدعوون العريس ووالده في موكب سيراً على الأقدام، يتقدمه العريس وأمامه حملة مباخر العود وفوانيس الإضاءة إلى بيت والد العروس وأقربائه ويرحب بهم وتقدم القهوة ويدار البخور وترش العطور وبعدها يبدأ المدعوون بالانصراف متمنين للعروسين التوفيق والهناء مرددين عبارة «مِنْك المالْ ومِنها العيال» ولا يبقى مع العريس إلا والده

١- المرجع السابق.

وإخوانه وأصدقاؤه المقربون، وفي تلك الأثناء تكون العروس قد هيأت استعداداً لنقلها إلى غرفة الزفاف في بيت والدها، وقد تستعار بيوت الجيران والأقارب. إذا كان المنزل صغيراً. كما يستعار السجاد والبسط ودلال القهوة وأباريق الشاي والحلّي والمجوهرات وحتى العبي والملابس من الأقارب والجيران[1].

٦ – الدَّزَّة: حين يُبلَّغ العريس باكتمال تهيئة عروسه ينتقل إلى غرفة الدخلة، فيخترق فناء المنزل المكتظ بالنساء المدعوات المرتديات أجمل ملابسهن وحليهن وزينتهن وتقوم « الطقّاقات» بدق سريع على الدفوف وترديد الأغاني الخفيفة والسريعة الخاصة بالمناسبة. وبعد أن يستقر العريس في الغرفة الأولية يتم إحضارالعروس (وأحياناً تنقل في زولية) إلى دار داخل الغرفة، ثم ينتقل العريس، بدوره إليها هناك.

٧ – الزفاف: جرت العادة قديماً أن تزف العروس إلى عريسها محمولة في زنبيل كبير (مرحلة) ثم تطور الأمر فيما بعد، إلى حملها في سجادة، وأن تزين العروس بفرق رأسها ووضع «مشخط» في مفرق الرأس تماماً. ويجدل الشعر في ضفائر تنسدل على ظهرها وتضمخ بالروائح العطرية كماء الورد والزعفران ودهن العود. وكانت العائلات الغنية تحرص على أن تتحلى العروس بخمار واسع وتتخدر بخدور من حرير أخضر مطرز أحياناً بخيوط من الزري، كما تحرص العروس على خضاب قدميها بـــ «المداسيّة»، حيث تخط على قدميها، كما تنقش على كفيها بخيوط من الخضاب الأسود (السَّمَرْ). وفي هذه المناسبة تحرص العروس على تكحيل عينيها وتزجج الحواجب التي تبدو كهلال جميل. وكان يصاحب عملية زف العروس دق سريع للدفوف والغناء. ومن أشهر ما كانت تنشده المغنيات في ذلك:

إسروا سرينا على بازيـــن　　كنّ «فلانة» هلالية

يا لها من قصة ســـــمرا　　حشـــــوها زعفرانية

---

١- المرجع السابق.

يالها في الحشا نهـــرين ومن تـــين الوزيّـــة

وتردد المغنيات أيضاً:

إسمعوا مـــديحـــي وقيلـــي يا عنبر في موازينـــي

وأنا أسألك يا عظيم الشانـــي يا خالق الإنـــس والجـــان

وأعيذهم بالأسماء والرحمان عن عين شيطان وعيّانـــي

وترافق العروس في زفافها امرأة خبيرة تعرف بـــ «الرّقِيدة» التي يبدأ عملها صباح يوم الزفاف، فتقوم بغسل العروس بالسدر والكركم وخضب يديها ونقشهما بالحناء وتنظيف فمها وأسنانها بالديرم ووضع الريحان على رأسها. وقبل زفافها مباشرة، تقوم الرقيدة بمساعدة العروس في الاستحمام وفرك جسمها بليفة محشوة بالشنان والسدر الذي يعطي الجسم رائحة طيبة، وكان من العادات المتبعة أن تدهن العروس يومين متتاليين بالكركم وزيت السمسم (السيرج) وزيت جوز الهند. وفي يوم الزفاف تدهن بالهرد ليكسب بشرتها لمعاناً وبريقاً، ثم تقوم بتكحيل عينيها، وتبدأ الرقيدة في رش العطر عليها، خاصة على الرقبة والآذان وتهتم بوضع الزباد والمسك على شعرها الذي يفرق من النصف تماماً ويضفر في «جدايل»،وبجانب الرقيدة تكون هناك سيدات متخصصات في القيام بتمشيط شعر العروس ودهنه بدهن الودك الذي يضفي على الشعر والجسد لمعاناً ورقة.

ويوكل إلى الرقيدة مفتاح غرفة العرس الخارجي في حين يقفل العريس الباب من الداخل. وتوصى العروس، التي لا تلبس شيئاً من حليها الذهبية أوالفضية ليلة الزفاف، بعدم الاستسلام لعريسها بسهولة، حيث تلبس سروالاً سميكاً محزوماً بخيط سميك معقود من الخلف، لتصعيب الوصول إلى العروس، مما يعمد معه بعض العرسان إلى اصطحاب سكين صغيرة أو مقص، للتغلّب على هذه الصعوبة، خاصة وأنه يحرص من قبل الأهل، ومن العرف السائد بأن «يثبت رجولته» ليلة الدخلة، فياله

من موقف متناقض عصيب، هو للاغتصاب منه أقرب إلى بدء علاقة زوجية سعيدة، وخاصة أن الفتاه تقاوم بكل ما أوتيت من قوة. بعد وصول العريس إلى غرفة الزفاف تغادر النساء من قريبات العريس ولا يبقى معها سوى الرقيدة، وكان من الطريف أن تتمسك العروس برقيدتها وتتشبث بها وهي مغطية وجهها فيما يحاول العريس تخليص عروسه من الرقيدة، مما يمكنها من مغادرة الغرفة، وعادة تقاوم العروس إمساك العريس بها وتفر منه وتصرخ وترجف الباب المغلق من الداخل والخارج، لكن صراخها ورجف الباب يتم تجاهله بقرع الدفوف والغناء من قبل» الطقاقات». ومن العادات المتبعة أن يقوم العريس، بعد اختلائه بعروسه، بصلاة ركعتين، ثم يبدأ بمحاولة النظر إلى وجه عروسه التي تتمسك بتغطيته، ومن أشهر الأغاني التي تغنى في مناسبة الزفاف آنذالك[1]:

يالله طلبتك طلبة ترفعـــــــه ما يعرضها دون عرشك حجـــــاب

تسلم لنا «فلان وفلانة» معــه وتنجيه من كل ســـــوء وعــذاب

ذي بنت من كان الصخا منبعه بدر تجـــلى فـــوق عاليات السحاب

ومن العادات القديمة جداً والطريفة أن يدق في أحد جدران غرفة الزفاف الداخلية وتد خشبي وتوصى العروس بأن تتمسك به، مما يسهل على العريس حمل عروسه. وفي حوالي منتصف الليل تقوم الرقيدة بقرع باب الغرفة من الخارج. عندها يخرج العريس من غرفة الزفاف الأولية، حيث تحضر الرقيدة القهوة والشاي. ويبادر العريس بإعطاء الرقيدة في تلك اللحظة مكافأة خاصة. ويتلقى العريس تهاني والديه وقريباته اللاتي يدخلن عليه حينذاك. ثم يتوجه العريس إلى المجلس الرئيسي، حيث ينتظره أهله وأقاربه الذين يبادرون إلى تهنئته والمباركة له، ولا يقتصر ذلك على الرجال، بل إن قريباته يحضرن للتهنئة وينثرن عليه ورداً ولباً. وفي الوقت نفسه تقوم والدة العروس وقريباتها بالدخول عليها والتحدث معها. وبعد صلاة الفجر يعود

١- المرجع السابق

العريس إلى غرفة زفافه. و أثناء خروجه تنشد بعض المغنيات بعض الأغاني الخاصة، ومنها:

ياذي المنازل لا خلا مِنْكْ أهليكْ  يِسلم لك «فلان» عِزّكْ وحاميك

وكان على العريس أن يغادر غرفة الزفاف ويلتحق بالمنتظرين في غرفة الجلوس بعد شروق الشمس، أما العروس فتأخذها الرقيدة إلى الحمام للاستحمام كما تقوم الرقّيدة بغسل ملاءة السرير وأغطيته وإعادة ترتيبها، وفي الضحى الكبير يعد للعريس ومن معه وجبة إفطار رئيسية. وكان من المتبع أن يعود العروسان إلى غرفة زفافهما بعد صلاة الظهر مباشرة.

٨ – الطـّـرَارَة: وهي أن تقوم المغنيات وضاربات الدفوف خلال أدائهم في مناسبة الزفاف، بتقديم الدف أمام وجه العريس أثناء خروجه في منتصف الليل من غرفة زفافه، ليضع فيه ما تجود به أريحيته من نقود، وتسمّى تلك العادة «الطّرَارَة» زيادة على أجرهن وما يحصلن عليه من «نقوط» من بعض الحاضرات.

٩ – الصـــبّاحة: وهي الهدية التي يهديها العريس إلى عروسه صباح ليلة الزفاف وتكون نقداً أو حلية ذهبية. كما يقوم بتقبيل رأس أمّ عروسه، التي تصبح الآن بمثابة عمته، وتقوم والدة العروس بتقديم «الملتوت» (فطائر) إلى عريس ابنتها، كما أن من المستحب أن تهدي والدة العريس للعروس هدية خاصة.

١٠ – الأيام الثلاثة للزواج: تستمر حفلات الزواج وولائمه الرئيسية ثلاثة أيام متتالية تختلف كل منها عن الأخرى، من حيث المحتفلين ونوعية الطعام ووقته. وكانت مواعيد الولائم الرئيسية لا تخلو إما من غداء يقدم بعد الظهر مباشرة، أو عشاء يقدم بعد المغرب مباشرة، وللدعوة يُستأجر شخص معروف من أهل الحي، يبدأ قبل موعد الوليمة بيوم بطرق الأبواب منذ وقت الضحى حتى صلاة العصر، ويبلغ من يرد عليه بأن «فلاناً» يدعوكم لتناول القهوة، ويحدد حينها الوقت والمقصود

بالقهوة «الطعام». وعادة ما يقوم بالطواف على المنازل الأشخاص المتخصصون في القيام بإعداد قهوة العرس وتقديمها للمدعوين. أما بالنسبة لدعوة النساء فهي عامة، وإن كانت هناك سيدات متخصصات لمثل هذه المهمة. وفي حالة إن وجهت دعوات خاصة أم لا، فإن ثمة سيدات يحضرن متخفيات في عباءاتهن وخُمرهن يتفرجن على حفل الزفاف وقوفاً إما في فناء المنزل أو يطللن عليه من فوق السطوح، ويعرفن بـــ «المغاتير». وكان حضور النساء في تلك الأيام كثيفاً. إذ كان من المستهجن التغيب عن حضور تلك المناسبات الاجتماعية المهمة، خاصة وأن صغر الأحساء وتقاربها وقلة الوافدين الغرباء عززت روابط الناس ببعضهم وحتمت عليهم ضرورة مراعاة الأعراف والتقاليد. وكانت الوجبات الرئيسية التي تعد في أيام الزواج الثلاثة كالتالي:

في اليوم الأول أرز مع الخراف المذبوحة، وفي اليوم الثاني هريس بأجزاء خاصة من أفخاذ لحم البقر، وفي اليوم الثالث «مفلّق» أو أرز حساوي بالربيان والبيض المسلوق والدهن البقري. وكانت العادة أن يعد في اليوم الأول للزفاف وجبتان واحدة خاصة بالأقارب والثانية عشاء رئيسية عامة.

١١ – يوم الفَــرّة: وهو اليوم التالي للزفاف، حيث تجلس العروسة أمام النساء لفرّ وجهها: أي كشفه في حضور حافل للنساء تحت صيوان منصوب في «الحوي» ويبدأ ذلك الاحتفال بعد صلاة الظهر مباشرة، وهنا ترتدي النساء أجمل حللهن. كما يحضر بعض «المغاتير» من خارج عائلة العروسين وتحضر المدعوات معهن دلالاً مليئة بالقهوة وأباريق مترعة بالحليب الممزوج بالزعفران وقوارير العطر[١].

وتجلس العروس هنا مرتدية، لأول مرة كامل زينتها وحليها وعباءتها الجوخ (هيلة) ومتزينة بالحناء والديرم، وتجلس بجانبها قريباتها، وتغطي أسفل وجهها بمنديل و تنظر وباستمرار إلى أسفل في حياء وخفر ثم تقوم إحدى النساء المتغطيات بنزع المنديل عن وجه العروس في حين تكون رِفّيدتها تروّح عنها بـــ «مهفة» في يدها وتباشرها

١- المرجع السابق

بالماء البارد، ثم تقوم الرقيدة بخلع عباءة العروس لترى الحاضرات كامل وجهها وشعرها وحليها. وتعود العروس للبس العباءة، وتقوم الرقيدة بخلعها عنها كلما دخل وتجمع عدد من المغاتير[1].

وبمجرد جلوس العروس بين الحاضرات تأخذ المغنيات بضرب الدفوف والغناء وتبدأ النساء في الرقص، ومن الأغاني الخاصة بتلك المناسبة قولهن:

ما حْلا الجوخ فوق اللي تْزِينه ... ما حْلا مَشْيَها وِسْـطْ المدينـة

والخِيلْ قِيِّـدَتْ للصـقور ... يا بو عـلي خـيّال جِسـور

لا مـن تبيَّنْ وانتخـى ... وحُـوله رجـال سْـخيّـة

تظهر «فلانـة» بينهمـو ... لا شـتت الله شِـملْهـم

وقـولهـنّ:

من ذي بنيَّته يا منى نجمةْ سهيل ... يا عنود «الريم» ياشـبْه القمـر

من ذي بْنَيتـه للحاكميـن ... زِيْنْها عدّا على كل البشـر

يوم طرَّش الحاكم على بنت الكِحيل ... يوم عَّدوا له مهرها ما قِـدر

الله مالـ «فلانة» في مقاعِدْهم مِثيل ... كُودْ ظبي يرعـى في السَّحـر

جابو لبوها مـن المشـخص شليل ... ومن بنات الخيـل أربع مع عشـر

شـافها التـاجر عيّا لا يسـير ... وشافها راعـي السفينة ما عبـر

وأهم ما يميز يوم الفرّة «النقوط» وهو النقود التي ترميها معظم النساء الحاضرات بالتوالي على الطقاقات والمغنيات. وبإخراج النقوط تبدأ وصلات غنائية راقصة يُمدح فيها أقارب دافعة النقوط من أبناء أو زوج أو أخوة، وترقص دافعة

١- المرجع السابق.

النقود أو بناتها أو قريباتها أثناء تلك الوصلة. وتعلن المغنيات وقارعات الدفوف عن بدء كل وصلة بعد استلام النقود بقولهن:

شوباش يامِن ذا نقوطه نقوط فلان بن فلان لا حالت

ولا مالت عليه، والسّامعين يقولون آمين

ويعقبها زغرودة «لولشة»، ثم يبدأ الرقص والغناء. ويزداد حماس المغنيات واختيار أفضل ما يحفظن كلما زاد مقدار النقود. و أثناء الرقص تغطي الفتيات نصف الوجه بطرف الثوب الرقيق، مما يساعد على ضم الثوب نفسه ليعزز تلك الحركة الإيقاعية للأقدام والجسد، ومن العادات أن تقوم إحدى الحاضرات المعجبات بإحدى الراقصات، إما لجمالها أو لحسن رقصتها أو لمركزها الاجتماعي بشق ثوبها أو عباءتها فوق رأس الراقصة، وفي تلك الحالة يجب مكافأتها من قِبل من شقت لباسها عليها، بإهدائها بديلاً جديداً لما شقّ.

وكانت عملية النقوط من الأمور المهمة، التي تحرص المدعوات على دفعها، دليلاً على تقديرهن لأصحاب الحفل. ولذلك فإن دفعها يتم حتى لو لم تتمكن المدعوة من الحضور شخصياً، وذلك بإرسال المبلغ مع إحدى الحاضرات.

١٢ – يوم الطّلعة: يتميز اليوم الثالث بأنه مغلق لا دعوات فيه ويسمى «يوم الطلعة» وفيه يخرج العريس منذ الصباح إلى السوق، لشراء الحلوى والمكسرات واللبّ وأثناء خروجه تغني المغنيات بصوت رخيم هادئ مقبول من الأنغام التي تشبه الخْماري أغاني عديدة، من أشهرها ما مطلعه:

وين رايح جعل دربكْ سْـــــعود كُفّيت شرّ النّوايب يا عريب الجدود

ما تطالع في «فلانة» كلّ أغبر حسود أم جهود سرايح فوق الأمتان سود

ومنها أيضاً

أبكي حزني على المحبوب ما من صديق يسلّيني

وأطوي على عنقها المسلوب ومن طعم ريقها يغذيني

(١٣)- الانتقال إلى بيت الزوجية: كان المتبع أن يبقى العريس في بيت أهل عروسه أسبوعاً، ثم يغادر بعدها مع عروسه إلى منزله. وتقوم العروس بزيارة خاطفة لأهلها، تسمى «البوقة»(الاختلاس، باعتبارها تتم خفية) وتتم ليلاً.

وترد والدة العروس وقريباتها وصديقاتها بزيارتها ليلة «الخمستعش» (الخامسة عشر)، بعد انتقالها إلى بيت الزوجية. وفي هذه المناسبة يهدونها لباً ومكسرات وأقمشة وذهباً، كل حسب قدرته. وكان من العادات المتبعة أن تجمع والدة الزوج اللبّ والمكسرات وتخلطها وتوزعها على جميع أفراد عائلتها ومعارفها.

وتسمى أول زيارة من الزوجة لأهلها، التي تتم خلال الشهرين الأولين، من بعد خروجها منه «الزورة» وحينها تبادر والدتها بدعوة نساء العائلة كافة إلى حفلة غداء كبرى وقضاء كامل اليوم سوياً. وتعتبر تلك المناسبة حدثاً عائلياً هاماً. وتحرص قريبات المرأة وصديقاتها على دعوتها واحدة بعد الأخرى. وكانت تلك الدعوات والزيارات تتم عادة في المساء.

وفيما عدا تلك الزيارات فإن خروج المرأة من بيت زوجها كان نادراً، إلا للضرورة، كالمرض أو العزاء في أحد أقاربها، فقد كان سائداً أن يتفاخر السكان بأن المرأة، بعد زواجها لا تخرج إلا للقبر.

ومن العادات الطريفة أن الزوج كان لايرى وجه زوجته خارج غرفة النوم حتى قدوم المولود الأول، كما كان شائعاً ألاّ يناديها ولا تناديه بالاسم الصريح، وفي حديثها إلى الآخرين عنه، تذكره بصيغة المفرد الغائب «هو» ولا تنطق اسمه على لسانها أبداً(ويمكن أن تكنيه بنسبته إلى أكبر أبنائه) فتقول: بو فلان[1].

١- المرجع السابق